تراجم سياح العرب

٢

(أبو الحسن على بن أبى بكر الهروى)

بينما أنا أتردد على الكتبخانة الخديوية فى ساعات فراغى عثرت على كتيب عدد وريقاته لايتجاوز الخمسين فى قطع الثمن فتصحفته فاذا هو غريب فى بابه لكونه لايخرج عن نتيجة مشاهدات بقيت فى ذاكرة المؤلف كتبها بعد ان مضت على مشاهدته البلاد التي تجول فيها سنوات عديدة كاد فى أثنائها أتعابا جمة كان من أيسرها غرق السفينة الشراعيسة التي كانت تحمله من جزيرة صقلية الي جزيرة قبرص ونهب الفرنج لامتعته وان كانت حقيرة الا أنه كان بينها كتبه النفيسة والتعليقات المهمة التى جمعها في أيام تجوله كما سيعلمه القاريء قريباً ثم مات بعيداً عن أهله ووطنه وحيدا لاصديق يرثيه ولا خليل يبكيه ولا ولد يطلبه ولا زوجة تندبه على خلاف مانسمع به ونشاهده كل يوم من تعضيد الحكومات الاجنبية لسواحيها بالمال والرجال ومكافأتها لياهم على تجولهم فى جهة لاتكاد تذكر فى جانب البلاد الشاسعة والنواحى القاصية التي زارها سائحنا خالى الوفاض بادى الانفاض

وقد أحببت احياء لذكر هذا السائح وافادة لقراء مجلتكم أن آتى على ترجمة حياته نقلا عن كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ثم أضع لكتابه فهرساً يتضمن بيان البلاد والأماكن الموصوفة فيه وأذكر مقدمته برمتها لكونها بمثابة المرآة تتجلى فيها صورة ما كتب وأعقبها بوصف بعض المدن الكبيرة التى زارها كنموذج يعلم منه القاريء كيفية سير الكاتب فى كتابه ومطابقة قوله للواقع ثم أختم ذلك بالخاتمة التي جاء بها المؤلف فى آخر كتابه

لاشتمالها على كثير من النصائح والوصايا الصادقة

قال ابن خلكان

هو أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروى الاصل الموصلي المولد السائح المشهور نزيل حلب طاف البلاد وأكثر من الزيارات وكان يطبق الارض بالدوران فانه لم يترك براً ولا بحراً ولا سهلا ولا جبلا من الاماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها الا رآه ولم يصل الي موضع الا كتب خطه في حائطه ولقد شاهدت ذلك فى البلاد التي رأيتها مع كثرتها ولما سار ذكره بذلك واشتهر ضرب به المثل فيه ورأيت لبعض المعاصرين وهو ابن شمس الخلافة جعفر بيتين فى شخص يستجدى من الناس بأوراقه وقد ذكر فيهما هذه الحالة وهما

أوراق كديته في بيت كل فتى ... على اتفاق معان واختلاف روي

قد طبق الارض من سهل ومن جبل ... كأنه خط ذاك السائح الهروى

وانما ذكرت البيتين استشهادا بهما على ماذكرته من كثرة زيارته وكتابة خطه وكان مع هذا له فضيلة وله معرفة بعلم السيمياء وبه تقدم عند الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب وأقام عنده وكان كثير الرعاية له وبني له مدرسة بظاهر حلب وفى ناحية منها قبة وهو مدفون فيها وفي تلك المدرسة بيوت كتب على كل باب منها ما يليق به ورأيته كتب على باب الميضأة (بيت المال فى بيت الماء) ورأيت فى قبته معلقاً عند رأسه غصن وهو حلقة خلقية ليس فيه صنعة وهو أعجوبة وقيل انه رآه فى بعض سياحاته فاستصحبه وأوصي أن يكون عند رأسه ليعجب منه من يراه وله مصنفات منها كتاب الاشارات في معرفة الزيارات وكتاب الخطب الهرويه ورأيت فى حائط الموضع الذى يلقى فيه الدروس من المدرسة المذكورة

بيتين مكتوبين بخط حسن وكانهما كتابة رجل فاضل نزل هناك قاصدا الديار المصرية فأحببت ذكرهما لحسنهما وهما

رحم الله من دعا الناس * نزلوا هاهنا يريدون مصرا

نزلوا والخدود بيض فلما * أزف البين عدن بالدمع حمرا

وتوفى فى شهر رمضان في العشر الاواسط من سنة احدى عشرة وستمائه في المدرسة المذكورة ودفن في القبة رحمه الله تعالي* والهروى بفتح الهاء والراء بعدها واو وهذه نسبة الى مدينة هراة وهى احدى كراسي مملكة خراسان فانها مملكة عظيمة وكراسيها أربع نيسابور ومرو وبلخ وهراة والباقى مدن كبار لكنها تنتهى الى هذه الاربع اه

أما الفهرس (١) الذي استخلصته من الكتاب فهو هذا

حلب وأعمالها — انطاكية — طرسوس — قنسرين — المعرة — حماة حمص — بعلبك — دمشق وجبالها وقراها — طبرية وأعمالها — حطين أو حطيم — بيسان — عكه — نابلس — القدس وماحولها — عين سلوان — الطريق من القدس الى بلد الخليل — قبر راحيل — بيت لحم — مدينة الخليل — ثغر غزه — مدينة الرملة — عمواس — اليرموك — اجنادين — الطريق الي عسقلان ومنها للفرما — حوف بلبيس — بحطيط — غيفا — المطرية عين شمس — القاهرة — قصر الخلفاء — الخليج — ظاهر القاهرة — المشاهد

(١) قد استنبطت هذا الفهرس من الكتاب واتبعت فى وضعه الترتيب الذى اتبعه المؤلف نفسه أي انى لم أتعرض لتقديم مكان على آخر وبين ما وقع فيه المؤلف من الخطاء فى الترتيب على ماأظن انما هو ضياع تقييداته ومذكراته عندما غرقت به السفينة بين صقليه وقبرص ولما أحب أن يكتب كتابه بعد سنوات لم تكن ذاكرته لتساعده على حفظ الترتيب فجاءت غير مرتبة تماما كما ترى وكما يفهم من عبارته صريحا

القرافه ـ مصر القديمه ـ المقياس ـ النيل والاهرام ـ اطفيح ـ منية ابن خصيب ـ الصعيد ـ البهنسا ـ اللاهون ـ الفيوم ـ سيله ـ شانه وبياض ـ اخميم ـ انصنا ـ الاقصر أسيوط ـ طوخ الخيل ـ قوص ـ اسوان ـ الطريق الى النوبه ـ العود الي مصر ـ المحلة ـ سخا ـ تنيس ـ الطريق من دمياط الى رشيد ـ ثغر الاسكندرية زيارات الاسكندرية ـ برقه من بلاد المغرب ـ مدينة القيروان ـ مدينة تونس مدينة باجه ـ مدينة قسنطينه ـ عود الى صقليه ـ قطانيه ـ مدينة طرابلس من هذه الجزيرة ـ قلعة ابن زور ـ قصر الهدايه ـ مدينة القسطنطينية ـ مدينة سالونيك ـ مدينة رومية الكبرى ـ عود لبلاد الروم شرقي بحر القسطنطينية مدينة نيقية ـ الطريق من نيقية الى بلاد الروم الشمالية ـ عمورية ـ بلدة سلطان وكي ويقال لها أيضا الثيرما بالرومي أوأوكوم ـ مدينة قيساريه ـ ملطيه ـ ارزن الروم ـ الرصافه ـ قلعة جعبر ـ مدينة الرقه ـ حران ـ الرها ـ ميافارقين آمد ـ بلد الخابور ـ قرقيسا ـ الرحبه ـ مدينة الانبار ـ العود الى الموصل ـ الجزيرة ـ جبل الجودي ـ مدينة الموصل ـ الطريق من الموصل الي العراق تكريت ـ سامرى ـ بغداد دار السلام ـ المدائن ـ ايوان كسرى ـ كربلا دير الجماجم ـ مدينة الكوفة ـ بلخ ـ واسط ـ النعمانيه ـ البصره ـ عبادان ـ عجائب بحر الهند ـ الجزر والمدن التي لا يوجد مثلها في الربع المسكون ـ جارك جزيرة في البحر ـ الحجاز وطريق مكة والمدينة ـ النجف الفارسية ـ العذيب جبل عرفات ـ وادي الجمار ـ مكة ـ جبل حراء ـ الطريق من مكة الى المدينة غدير خم ـ بدر وحنين ـ جبل الملائكة ـ جبل ريحانه ـ زيارات المدينة البقيع ـ بلاد اليمن ـ مدينة زبيد ـ مدينة لحيه ـ عدن ـ صنعاء ـ بلد أرب ـ سيوه مدينة حضرموت ـ قصر غمدان بصنعاء ـ عود الي بلاد العجم ـ مدينة اصفهان

مدينة الرى - مدينة نيسابور - مدينة بسطام - مدينة طوس - مدينة جرجان مدينة سمرقند

وهذه هي المقدمة بحروفها

قال العبد الفقير الي رحمة ربه المستغفر من خطيئته وذنبه على بن أبي بكر الهروى غفر الله له ولجميع المسلمين أجمعين الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد النبي الامى وآله وصحبه وشرف وكرم، أما بعد، فانه سألني بعض الاخوان الصالحين والخلان الناصحين أن أذكر له ما زرته من الزيارات وما شهدته من العجائب والابنية والعمارات وما رأيته من الاصنام والآثار والطلسمات فى الربع المسكون والقطر المعمور ووقع الامتناع الى أن حصل الاجتماع برسول وقد وفد من الديوان العزيز شرفه الله وعظمه وتبركنا بزيارته واستفدنا برؤيته اذ كان قدومه من دار السلام وقبة الاسلام وثغر الامام عليه السلام وذكر الشيخ الرسول زيارات زارها بالشام وأرض بعلبك وذكر بعض الحاضرين قبور بعض الانبياء عليهم السلام وقد اختلف في صحة ذلك فوقع ابتداء ذكر الروايات من مدينة حلب وكان الواجب أن يبتدأ بذكر مدينة السلام حرسها الله تعالي اذ بها امام المسلمين وخليفة الموحدين وأمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين الامام العباسي أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين (٥٧٥ - ٦٢٢ هجريه) ابن الامام المستضيء بأمر الله الذى رفع المظالم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام حدود الله وأحيا سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وفقه الله لطاعته وبلغه نهاية آماله من دنياه وآخرته بمحمد وآله وعترته الا أننا أخرنا ذكر زيارات مدينة السلام لنجعلها مفتاحا الى ذكر زيارات الحرمين الشريفين المعظمين مكة والمدينة حرسهما الله تعالى وقد اختصرت

ماحضرني على سبيل الايجاز وأنا أستعيذ بالله من شر حاسد ونكد معاند يقف على ذكر بعض الصحابة والتابعين وآل رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين وعلى ذكر بعض الآثار فيقول قرأنا في التاريخ الفلاني ضد ذلك وذكر فلان غير هذا أما أنا فلا أشك في قوله ولا أطعن في حديثه الا أنني ذكرت ماشاع ذكره وذاع خبره بطريق الاستفاضة والله أعلم بصحته وقد ذكر بعض أصحاب التواريخ جماعة من آل الرسول عليهم السلام ومن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم قتلوا وماتوا ببلاد الشام والعراق وخراسان والمغرب واليمن وجزائر البحر ولم أر في أكثر هذه الاماكن ماذكر ولا شك أن قبورهم اندرست وآثارهم طمست وبقيت أخبارها والزائر له صدق نيته وصحة عقيدته وقد ذكروا أيضا بلادا وأماكن وطرقات لاتعرف الآن لتقادم العهد وتغير الزمان وان جري فيما أذكره شيء بطريق السهو والغلط لا بطريق القصد فأسأل الناظر فيه والواقف عليه الصفح عن ذلك واصلاح الخطأ وايضاح الحق فان كتبي أخذها الانكستار (١) ملك الفرنج ورغبت في وصولي اليه فلم يمكن ذلك ومنها ماغرق في البحر وقد زرت أماكن ودخلت بلادا من سنين كثيرة وقد أنسيت أكثر مارأيته وشذ عني أكثر ماعاينته وهذا مقام لايدركه أحد من السائحين ولزهاد ولا يصل اليه أكثر المسافرين والعباد الا رجل جال الارض بقدمه وأثبت ماذكرته بقلبه وقلمه

وها أنا أبتدي بذكر الزيارات من مدينة حلب وأعمالها التي تليها ثم أذكر

(١) هو ريشار الملقب بقلب الاسد الذي حكم من سنة ١١٨٠ م الى سنة ١٢٠٤ Richard Coeur de lion

الشام بأسرها وبلاد الافرنج (١) وفلسطين والارض المقدسة وجميع زيارات بيت المقدس ومدينة الخليل عليه السلام وديار مصر بأسرها والصعيد وبلاد البحيرة والمغرب وجزائر بلاد الروم وجزيرة ابن عمر (٢) وديار بكر والعراق بأسره وأطراف الهند والحرمين الشريفين مكة والمدينة حرسهما الله تعالى واليمن وبلاد العجم مع انه لم يدخل بلاد العجم والمغرب نبي بل بهما من الصالحين والابدال والاولياء والعلماء مالو جمع لكان كثيرا وهذا الكتاب مختصر على ذكر الزيارات أما ذكر الابنية والآثار والعجائب والاصنام فلها كتاب مفرد غير هذا ولابد أن نذكر هنا طرفا مما يطابق هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وهاك وصف بعض المدن الكبيرة نقلا عن الاصل

قال المترجم عند كلامه على القسطنطينية

« فى جانب سورها قبر أبى أيوب الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه خالد بن زيد ولما قتل دفنوه بها وقالوا للروم هذا من كبار أصحاب نبينا فوالله لو نبش لادق ناقوس فى أرض الغرب أبدا وبها الجامع الذى بناه مسلمة بن عبد الملك والتابعون وبه قبر رجل من ولد الحسين رضي الله عنه وبها الاصنام النحاس والرخام والعمد والطلسمات العجيبة والمنار التى تقدم ذكرها والآثار التى ليس فى الربع المسكون مثلها وبها أياصوفية وهى الكنيسة العظمى عندهم ويقولون بها ملك من الملائكة مقيم

(١) يقصد ببلاد الفرنج هنا خصوصا لذكرها بين الشام وفلسطين الامارات المسيحية التى أقامها الاروبيون أثناء اقامتهم فى الشام وقت الحروب الصليبيه

(٢) هي الجزيره الواقعة بين نهرى الدجله والفرات

بها وقد عملوا دائر مكانه درابزين من الذهب ولها حكاية عجيبة ذكرناها فى موضعها كما ذكرنا ترتيب هذه الكنيسة وهيكلها وارتفاعها وأبوابها وعلوها وطولها وعرضها والعمد التى بها وعجائب هذه المدينة وأوضاعها وصفة السمك الذى بها وباب الذهب والابرجة والافيلة النحاس وجميع مابها من الآثار والعجائب ومافعل الملك مانويل (١) معي من الخير والاحسان فى كتاب العجائب كما تقدم وهذه المدينة اكبر من اسمها نسأل الله تعالى ان يجعلها دار اسلام بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى (٢)

وعند الكلام على مدينة رومه قال

مدينة رومه الكبري بها بطرس وشمعون الصفا وبولس من حواريي المسيح عليه السلام في توابيت من الفضة معلقة بالسلاسل فى هيكل الكنيسة العظمي التى لهم وبهذه المدينة من الآثار والاصنام والعمد ماذكرته فى كتاب العجائب أما أن لها سبعة أبواب وأنه اذا دخل الداخل لا يهتدى كيف يخرج فلا أصل لهذا الكلام ولا صحة بل بها حبس (٣) على عماره

---

(١) حكم هذا الملك القسطنطينية من سنة ١١٤٨ م الي سنة ١١٨ م

(٢) قد حقق الله أمنية المؤلف وأصبحت القسطنطينية دار اسلام منذ سنة ٨٥٧ هجريه

(٣) ان هذا الحبس لم يبن فى الاصل لان يكون حبسا وانما بناه ادريانوس أحد قياصرة الرومان الذى حكم الدولة الرومانية من سنة ١١٧ الي سنة ١٣٨ مسيحية مشهدا له يدفن فيه عند وفاته وجعله على شكل دائرة تحيط بها العمد التى تعلوها تماثيل الآلهة

وعند سقوط الدولة الرومانية تحول المشهد الي حصن سمي حصن الملك المقدس لوجود تمثال ذهبي على هيئة جبرائيل عليه السلام فوق سطحه وضمه أحد البابوات الذين صاروا ملوكا علي رومة فى القرون الوسطى وفى هذا المشهد استعمل الحصن حبسا للمجرمين السياسيين

أما اليوم فقد تحول الي معسكر منذ ان احتلت الحكومة الطليانية مدينة رومة

على هيئة الحلزون اذا حبس به أحد لا يهتدي للخروج منه

وعند الكلام على المطرية من أعمال مصر قال

المطرية قرية عندها البستان الذى يستخرج من شجره دهن البلسان ويقال البلسم وخاصيته فى ماء البئر التى يقال ان المسيح اغتسل منها وعين شمس قرية بها آثار عجيبة هائلة وصور السباع وبها عمود يقال له مسلة فرعون من الحجر المانع ذكرنا طولها وعرضها فى كتاب الآثار والعجائب والاصنام

وعند الكلام على الاهرام قال . وقد دخلت هذا الهرم وصعدت اليه ورأيت هذا الحوض الخ . وعند الكلام على الاقصر قال

الاقصر مدينة بها من الآثار والقصور والاصنام وصور الاصنام وصور السباع والدواب مالم أر مثله فى بلاد الصعيد ولا في غيرها وقد ذرعت يد صنم فكان من المرفق الى مفصل الكف سبعة أذرع وسيأتى ذكر ما بهذا الموضع من الاصنام والبرابى التى فى الصعيد ووصف ذلك على هيئته فى كتاب العجائب ان شاء الله تعالي

مدينة أسوان آخر بلاد الصعيد وبلاد الاسلام وبها الجنادل وهى حجارة نابتة فى وسط البحر فاذا كان وقت زيادة النيل يوضع عليها سرج فاذا زاد البحر وأخذها أرسلوا البشارة الى مصر فينزلون فى مركب صغير ويسبقون الماء ويبشرونهم بالزيادة وجميع حجارة المانع والعمد التى بالديار المصرية ومسلة فرعون وعمود السواري بالاسكندرية من جبال هذه المدينة ورأيت آثار القطاعات فى الجبل والحجارة المانعة والعمد مقطوعة ورأيت عمودا قريبا من قرية يقال لها بلاق يسميه أهلها الصقالة وهو مانع بجزع بحمره ؛ ورأسه قد غطاه الرمل فذرعت ماظهر منه فكان خمسا وخمسين

ذراعا وهو مربع كل وجه منه سبعة أذرع وفي البحر موضع ضيق ذكروا انهم أرادوا أن يعملوا عليه جسرا (١) والله أعلم

وبعد ذلك تكلم فى الطريق على النوبه

وعند الكلام على سخا رسم نقوشا هيروغليفيه . أخذها عن حجر وجده فى بعض الاماكن وعند الكلام على صقليه قال

وبجزيرة صقليه جبل النار مطل على البحر شاهق في الهواء يرى فى النهار الدخان طالعاً منه وفى الليل النار وحدثني رجل من علماء تلك البلاد انه رأي حيوانا على شكل السمان رصاصي اللون يطير من وسط هذه النار ويعود اليها وقال هو السمندل وأما أنا فما رأيت الاحجاره سوداء مثقبة مثال حجر الرجل للحمام (خفاف) تقع من هذا الجبل الي ناحية البحر وقيل بفرغانة «٢» جبل مثله يحرق الحجارة ويباع رماده ثلاث أواق بدرهم يبيضون به الثياب واجتمعت برجل بجزيرة صقلية يعرف بالقائد أبى القاسم بن هود بن الحجر وذكر لى انه من ولد عمر بن عبد العزيز وكنت مرضت في مسجد عين الشفاء وهذه العين تزار ومن الله تعالي على بالعافية وأحسن هذا القائد الى وكتب معي كتابا الى السلطان يحثه على أخذ هذه الجزيرة وغرق المركب عند خروجي من هذه الجزيرة وركبت مع قوم من الروم الى جزيرة قبرص ورأيت بجزيرة قبرص على حجر مكتوب ماهذه صورته بعد البسملة وسورة الاخلاص (هذا قبر عروة بن ثابت توفى فى شهر رمضان سنة تسع وعشرين

(١) هذه العبارة تفيد ان توزيع مياه النيل بكيفية صالحة عامة كان فى فكرة رجال الدول الاسلامية التي حكمت مصر وسنفرد لذلك مقالة في الخزانات من العهد القديم وأنواعها ومحالها

(٢) مملكة بالجهة الغربية من دولة الصين الآن وكانت آخر حدود ممالك الاسلام قديما

للهجرة النبوية) وهذا الحجر مبنى في حائط الكنيسة الشرقية وبها قبر جزام ابنة ملحان أخت أم سليم

وعند الكلام على الصخرة التى بالمسجد الاقصي قال دخلتها فى زمن الفرنج سنة ٥٦٩

وقرأت فى سقف القبة التى بالمسجد الاقصى ماهذه صورته

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الاقصي الذي باركنا حوله نصر من الله لعبده ووليه على ابن أبى الحسن الامام الظاهر لاعزاز دين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الا كرمين أمر بعمل هذه القبة وتذهيبها سيدنا الوزير الاجل صفى أمير المؤمنين وخلاصته أبى القاسم على بن أحمد أيده الله ونصره وكمل جميع ذلك الى سلخ ذى القعده سنة ست وعشرين وأربعمائه صنعه عبد الله بن الحسن المصرى المزوق (١) وجميع الكتابه

وقرأت على صخرة مكتوبا ماهذه صورته طول المسجد الاقصي سبعمائة زراع بذراع الملك وعرضه أربعمائة وخمسون ذراعا بذراع الملك

وبمناسبة مغارة مدينة الخليل قال وسمعت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الحافظ بثغر الاسكندريه سنة ٥٧٠ جزأ يرفعه الي فلان الآدمي شذ عني اسمه

فان كتبي أخذتها الافرنج تربة الواقعة نحو تلفه ؛ لما قصدهم الانكتار ملك الفرنج ثم أنفذ رسوله الي ووعدنى باعادة ماأخذه أضعافا وطلب

---

(١) جاء ذكر المزوق المصرى هنا لاحظا لما يدعيه بعض علماء الافرنج من انه لم يكن بين المصريين من يتقن شيأ من الفنون الجميلة

الاجتماع فلم أمض اليه وذلك فى سنة ٥٨٨

فأما الجزء الذى سمعته فانه يذكر فيه ان الآدمى قصد زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام وصادف القيم بالموضع وكان القيم روميا فتقرب اليه بهدية وطلب النزول الى المغارة فوعده بذلك عند انقطاع الزوار في زمن الشتاء فلما انقطع الناس أتى الي بلاطة فقلعها وأخذ مايستضيء به ونزلا فى درج مقدار ٧٠ درجة وانتهيا الي مغارة واسعة كبيرة والهواء يخرق فيها وبها دكة عليها ابراهيم الخليل صلي الله عليه وسلم ملقي وعليه ثوب أخضر وشيبته يلعب بها الهواء والي جانبه اسحاق ويعقوب عليهما السلام ثم أتي الى حائط فى المغارة فقال له صاحبه ان سارة خلف هذا الحائط فهم الرجل أن ينظر ماوراء الحائط واذا بصوت يقول اياك والحريم فعاد من حيث نزلا

يقول دخلت القدس سنة ست وستين وخمسمائة واجتمعت فيه وفى مدينة الخليل بمشايخ حدثونى انه لما كان فى زمن الملك برذويل انخسف في هذه المغارة مكان فدخل جماعة من الافرنج اليها باذن الملك فوجدوا فيها ابراهيم الخليل واسحق ويعقوب صلوات الله وسلامه عليهم وقد بليت أكفانهم وهم مستندون الى حائط وعلى رؤسهم قناديل ورؤسهم مكشوفة فجدد الملك أكفانهم ثم سد ذلك الموضع وذلك في سنة ٥١٣ هجرية

وحدثني الفارس بيرن وكان مقيما فى بيت لحم معروفا عند الافرنج برحلته وكبر سنه أنه دخل مع أبيه الى هذه المغارة ورأى ابراهيم الخليل واسحق ويعقوب صلواة الله وسلامه عليهم ورؤسهم مكشوفة فجدد الملك أكفانهم فقلت له كم كان عمرك فقال لي ١٣ سنة وقال لي ان الفارس خضر ابن أبي جرج كان ممن تقدم اليه الملك ليجدد أكفانهم ويعمر ماانخسف من

المغارة وهو فى الحياة فسألته عنه فقيل لي مات منذ أيام (يقول المؤلف) فان صح ذلك فاني قد رأيت من رأي ابراهيم الخليل واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام يقظة لا مناما وعند السكلام على عسقلان قال

ثغر عسقلان به مشهد الحسين عليه السلام كان رأسه به فلما أخذه الافرنج نقله المسلمون الى مدينة القاهرة وذلك سنة ٥٤٥

يقول مؤلف هـذا الكتاب دخلت ثغر عسقلان سنة ٥٧٠ وبت في مشهد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ورأيت فى ذلك المشهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فى المنام وهو بين جماعة فسلمت عليه وقبلت يده وقلت يارسول الله ماأحسن هذا الثغر لو انه للمسلمين قال صلى الله عليه وسلم سيصير للاسلام ويبقى عبرة للانام فاستيقظت وكتبت صورة مارأيته على حائط المشهد من جانبه القبلي وأرخته وفتح القدس وعسقلان سنة ٥٧٠ وهـذا الخط قد شاهده كثير من التجار والاجناد اه وهذه خاتمة الكتاب بحروفها

يقول مؤلف هـذا الكتاب على بن أبى بكر الهروى غفر الله له ولجميع المسلمين انما كان الغرض من هذا الكتاب ذكر زيارات الشام وذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضي الله عنهم لاغير فلما ذكرناهم ذكرنا من جاورهم من الاولياء والصالحين رضي الله عنهم وقد أتينا على المقصود في كتابنا هذا واختصرناه خوف التطويل ولو ذكرنا كل بلد ومن به من الصالحين ومن بجبانته من الاولياء لطال شرحه ولا فائدة فى ذلك وانما ذكرنا بعض الاولياء والصالحين المشهورين ولو جمعت أسماء الصالحين والعلماء فى عراق العجم وخراسان وما وراء النهر وبلاد فارس وأذربيجان وبلاد المغرب لكانت مجلدات أو أردت أن أذكر كل بلد وما سمعت به من الاحاديث والاخبار

المروية ومن لقيت من الصالحين والزهاد والعباد والأولياء وكل منزلة من منازل الحجاز وما سمعت به من أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم لما وفى الكتاب بمعشاره فانى تجردت لذلك وجمعت مايقارب سبعين حديثاً على سبعين شيخا فى سبعين بلدا فرأيت ان ذلك يناني اختصار هذا الكتاب وأكثر كتبي أخذتها الافرنج وغرقت فى البحر بل قد عملت كتابا مفردا لهذا ذكرت فيه ما أقدر عليه وأصل اليه وسميته بكتاب منازل الارض ذات الطول والعرض فمن أراد ذلك فليطلبه ففيه الكفاية لاهل الدراية ان شاء الله تعالي وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الي يوم الدين

نسخة ماعلى تربة العبد الفقير الى الله تعالي مؤلف هذا الكتاب وهى التي أنشأها لنفسه ظاهر محروسة حلب على الجادة الآخذة الي محروسة دمشق على غربى هذه التربة منقورا في الصخر هذه صورته « بسم الله الرحمن الرحيم سبحان من شتت العباد فى البلاد سير قوما الي الآجال وقوما الى الارزاق هذه تربة العبد الغريب الوحيد على بن أبي بكر الهروى عاش غريباً ومات وحيداً لاصديق يرثيه ولاخليل يبكيه ولا أهل يزورونه ولا اخوان يقصدونه ولا ولد يطلبه ولا زوجة تندبه آنس الله وحدته ورحم غربته وهو القائل سلكت القفار وطفت الديار وركبت البحار ورأيت الآثار وسافرت البلاد وعاشرت العباد فلم أر صديقاً ولا رفيقاً موافقاً فمن قرأ هذا الخط فلا يغتر بأحد قط

طفت البلاد مشارقا ومغاربا ... ولكم أصبحت سائح وحبيس (١)

ورأيت كل عجيبة وغريبة ... ورأيت هؤلاء فى رخاء وبوس

أصبحت من تحت الثري فى وحدة ... أرجو الهى ان يكون أنيسى

(١) يظهر من هذه الأبيات ان المؤلف لم يكن شاعراً

وعليه (١) بنوا وعلوا ومضوا وخلوا وعليه لا ذاك دام ولا ذا يدوم . وعليه كن من الفراق على حذر. وعليه السلامة فى الوحدة والراحة فى العزلة . وعلى الجانب الشمالي لا مفر مما قضاه ولا مهرب مما أمضاه فالسعيد من سلم اليه وتوكل عليه وفى الجانب الشرقى ماهذه صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذه تربة العبد الفقير الي رحمة ربه على بن أبى بكر الهروى وهو القائل ابن آدم دع الاحتيال فما يدوم حال ولا تغالب التقدير فان يقيد التدبير ولا تحرص على جمع مال ينتقل منك الى غيرك ممن لا ينفعك شكره ويبقى عليك وزره وآخر أمرك بطن الارض قبرك. وعلى عضادتى الباب ماهذه صورته بسم الله الرحمن الرحيم مامر الزمان على شيء الا وغيره ولا حي الا وقبره ولا على رفيع الا وضعه ولا قوى الا أضعفه. وعلى الباب بسم الله الرحمن الرحيم عمر هذه التربة لنفسه العبد الفقير الي رحمة ربه على ابن أبى بكر الهروى تقبل الله منه ورحمه ورحم جميع المسلمين وذلك فى سنة ٦٠٢ . وداخل الباب الطمع يذل النفس العزيزة ويستخدم العقول الشريفة. وعلي القبر مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم هذا قبر الشيخ على ابن أبى بكر الهروي رضي الله عنه ورحمه ورحم جميع المسلمين وعلى فرشة اللحد بسم الله الرحمن الرحيم الهى ليس لى عمل أتقرب به اليك ولا حسنة أدل بها عليك غير فقري وفاقتى وذلي ووحدتي فارحم غربتي وكن أنيسي فى حفرتى فقد التجأت اليك وتوكلت عليك وأنت أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين . وعلى القبة الآيتان آخر سورة لقمان عليه السلام وآخر سورة البقرة وآية الكرسي وعلى القبر

(١) الضمير يعود على الصخر أى أن هاتين الجملتين منقورتان فى الصخر

بعد البسملة ياباقي ارحم الفاني ياحي ارحم الميت ياعزيز ارحم الذليل ياقادر ارحم العاجز . وعليه اللهم اني ضيفك ونزيلك وفي جوارك وحرمك وأنت أولي من أكرم ضيفه ورحم جاره وأجار نزيله فمن غير تربتي أو بدل حفرتي فأنت خصمه يارب استعنت بك عليه يامغيث أنت الله وعلى أبواب حرم التربة ماهذه صورته منقورا في الصخر على باب منها . داو أمراضك ودع اعتراضك وعلى آخر كم ذا العناء مصيرك الى الفناء . وعلى آخر الدنيا مزبلة وعلى آخر لو أراد الله لخيرك مابقيت لغيرك . وعلى آخر الحذر لايدفع القدر . وعلى آخر لو دريت ما اقتنيت وعلى آخر في الموت كفايه . وعلى آخر الاجل أصدق من الامل . وعلى آخر دع الارتياب فمصيرك الى التراب . وعلى آخر اتق الله يكفك الله . وعلى آخر انظر في عيب نفسك ودع ابناء جنسك . وعلى آخر لو افتكرت ماافتخرت وعلى آخر طهارة الجسد في ازالة الحسد . وعلى أبواب الرباط وهي المدرسة التي أنشأها لصق هذه التربة على باب فيها استعد للرحيل فقد بقي القليل وعلى آخر الحسد مضر بصاحبه وعلى آخر الاحتمال معين حاضر وعلى آخر العزلة مركب السلامة وعلى آخر دعهم واحذرهم وعلى آخر من زهد في الدنيا قل تعبه وعلى آخر عز القانع وذل الطامع وعلى آخر الورع رمام العمل وعلى آخر زينة العلم العمل به وعلى آخر الوحدة تجمع الهمة وعلى آخر الراحة في الوحدة وعلى آخر فر من الخلق فرارك من الاسد وعلى آخر انتفع بالناس انتفاعك بالنار تنج منهم وعلى آخر دع الترهات واستعد للممات وعلى آخر بيت المال في بيت الماء وعلى باب التربة عمر هذه التربة لنفسه العبد الفقير الى الله تعالى علي بن أبي بكر الهروي وذلك في سنة اثنين وستمائة وعلى البئر التي ظهرت في هذه التربة

ونسبت الى ابراهيم الخليل عليه أفضل السلاة والسلام من المولي الجليل أظهر الله هذا البئر المبارك سنة اثنتين وستمائة وليكن هذا آخر الكتاب والحمد لله وحده وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا آمين

ذلكم ملخص محتويات هذا الكتاب الصغير الذي يظهر انه لاشيء في جانب كتاب العجائب والآثار أو كتاب منازل الارض ذات الطول والعرض اللذين نص المؤلف أنه وضعهما وان في هذا الملخص لدليلا قاطعاً على ان المتقدمين من أهل الاسلام قد بلغت بهم الهمة القعساء الى درجة لم يبلغها للآن أحد من أهل أوربا لا ننا لو استقصينا كل سواحي الافرنج لما وجدنا فيهم قاطبة شخصاً قام بمثل ماقام به هذا السائح العربي من تجشم المصاعب وجوب القفار وعبور البحار لمجرد تأدية أمنية في نفسه هي أولا القيام للانسانية بواجبها المنحصر في افراغ الجهد في العمل حبا فيه وثانيا خدمة أهل وطنه خدمة لم يجش صدره عند القيام بها أن يطلب عليها جزاء ولا شكورا

أما كل سائحي الافرنج فهم ثلاثة أفرقاء فريق ترسله حكومته لغرض سياسي وتراقبه على بعد بعين رعايتها الساهرة وفريق ترسله شركات مؤلفة لغرض الاستكشاف المثمر ذهبا فهي تواسيه وتمده بيد معونتها أينما حل وحيثما ارتحل وفريق يضيق به الحال فيتخذ السياحة من آلات اكتساب المال والجاه ويسير فيها سير المستميت وكلا الفريقين الأخيرين كالفريق الأول مؤيد بسلطة حكومته عالم أن وراءه عددا وعددا تحميه من كل طارىء وان المتعدي عليه مأخوذ بجرمه لامحالة وان لأولاده وذويه من بعده ترضية تفنيهم الى ماشاء الله .ذلكم حال هؤلاء السائحين وهم لاشك بهذه المثابة